



7 مايو 2019

(1) كان خُلِّفَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُرْآنَ

لحمْدُ اللهِ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى رَسُولِ اللهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ وَاوَاهُ، وَاهْتَدَى بِهِدَاهُ.

وبعد؛ فقد أردتُ أمُّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن تُقدِّمَ لنا شخصيَّةَ رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حينَ سُئِلَتْ (فيما أخرجه مسلم) عن أخلاقِهِ، فقالتُ للسَّائِلِ: «أَلَسْتُ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟» قال: بلى، قالت: «قَالَ خُلِّفَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ الْقُرْآنَ»، وفي حديثٍ آخر قالت لأبي الدَّرْدَاءِ حينَ سأَلَهَا: «كَانَ خُلِّفَهُ الْقُرْآنَ، يَعْصِبُ لِعَاصِيهِ، وَيَرْضَى لِرِضَاهُ».

وعند البخاري في (الأدب المفرد): أن أمَّ المؤمنين أردتُ أن تُقدِّمَ صورةً عمليَّةً تفسيريَّةً لهذا، فقالت ليزيد بن ثابتٍ حينَ سأَلَهَا: مَا كَانَ خُلِّفَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قالت: «كَانَ خُلِّفَهُ الْقُرْآنَ، تَقْرَأُونَ سُورَةَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قالت: أقرأ:؟ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ؟ قال يزيد: قَرَأْتُ؟ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ؟ إِلَى؟ لِقُرُوجِهِمْ حَافِطُونَ؟، قالت: «هَكَذَا كَانَ خُلِّفَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

؛ أن أخلاق رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانت ترجمةً عمليَّةً لكتابِ الله، فكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قرآنًا يمشي بين الناس.

(2) سَخِصِيَّةُ الْأَخِ الْقُرْآنِيِّ

لهذا غيَّبَ الإخوان المسلمون بأن يجعلوا كتابَ اللهِ تبارك وتعالى أوَّلَ أورايدهم، وكان من تعهدهم أن يُرَتِّبَ الأخ على نفسه كلَّ يومٍ قراءةً جزءٍ على الأقلِّ من القرآن الكريم يتلوه؛ كما يُرَتِّبُ على نفسه قدرًا من الآيات يحفظه؛ إدراكًا من الإخوان لفصل القرآن وأثره العظيم في التربية.

لكنَّ الأخ المسلم القرآني لا يقبلُ أن يكون القرآن عنده مجردَ كلامٍ يُتلى أو ترنيماتٍ تُسمَع، بل هو تعليماتٌ تُحَقَّق، وتوجيهاتٌ تُتَّقَد، وتربيَّةٌ تظهرُ في السُّلُوكِ والأخلاق، وهذا ما يُبَيِّنُنا إليه سيِّدنا عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ رضي اللهُ عنه حين يقول فيما أخرجه ابن أبي شيبة: «يُنَبِّغِي لِخَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يُعْرِفَ بِلَيْلِهِ (أي بقيام الليل) إِذَا النَّاسُ تَأَمَّنُوا، وَيَتَهَارَهُ (يعني بصيام نهاره) إِذَا النَّاسُ مُفْطِرُونَ، وَيُخْرِئُهُ إِذَا النَّاسُ يَفْرَحُونَ، وَيَبْكَايُهُ إِذَا النَّاسُ يَصْحَكُونَ، وَيَضْمِنُهُ إِذَا النَّاسُ يَخْلُطُونَ، وَيُخْشِعُونَهُ إِذَا النَّاسُ يَخْتَالُونَ، وَيُنَبِّغِي لِخَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يَكُونَ تَاكِتًا مَخْرُوتًا خَلِيمًا سَكِينًا، وَلَا يَنْبَغِي لِخَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يَكُونَ صَخَّابًا، وَلَا صَيَّحًا، وَلَا حَبِيدًا».

وليسَ حزنُ الأخ القرآني حزنًا على ما فاتته من الدنيا، لكنَّه حزنٌ على تقصيره في حقِّ اللهِ، وحزنٌ على أنَّه لم يكن أفضلَ من ذلك؛ فينهضُ إلى التجويد والتحسين، ويتحوَّلُ من الكسلِ والفنورِ إلى العملِ والنشاط.

وهكذا كان أبو بكر وعمرُ وسائرُ أصحابِ رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما وصفهم أسماء بنت أبي بكر رضي اللهُ عنها حين سأَلَهَا حفيدُها عبدُ اللهِ بنُ عُزُوةِ بنِ الرُّبَيْعِ: كَيْفَ كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُفْعَلُونَ إِذَا فُرِيَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ؟ قالت: «كَانُوا كَمَا تَعْتَهُمُ اللهُ، تَدْمَعُ أَعْيُنُهُمْ، وَتَفْسَعِرُ جُلُودُهُمْ».

(3) الْأَخِ الْقُرْآنِيُّ مُضْلِعٌ مُجَاهِدٌ

لكنَّ هذا الشخصَ القرآنيَّ الباكي المحزون، إذا جدَّ الجدُّ، ودعا داعي الجهاد كان فارسَ الميدان، وإذا دخلَ ميدانَ السياسة كان أبصرَ الناسِ بالمصالح والمفاسد، وأقصى الناسِ لحاجاتِ العباد، وإذا عاملَ الناسَ بالدينارِ والدُّرْهَمِ كان أصدقَ الناسِ معاملةً وأكثرَهم أمانةً، وإذا دخلَ بيته كان أحسنَ الناسِ عشرةً وتربيَّةً للأولاد، وإذا رأى الفسادَ والمنكرَ كان أشدَّ الناسِ بُغضًا له وسعياً في إنكاره وإزالته، وإذا دعاه الوطنُ للتضحية كان أسرعَ الناسِ تلبيةً للنداء ونموذجَ البذلِّ والفداء، وأسأخامَ يداً بالبذلِّ والعطاء، وهو في كل ذلك يستجيب لتوجيهات القرآن العظيم

وقدوته في ذلك بعد النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه الكرام وسلف الأمة الصالح، فأبو بكر الذي يبكي عند تلاوة وسماع القرآن هو الذي وقف وقفة الأسد حين ارتد المرتدون، وقال: «وَاللَّهِ لَأَقَاتِلَنَّهُمْ وَلَوْ أَنْفَرْتُ سَالِقِي» السالقة: صفحة العنق، والمعنى: حتى أموت أو حتى يُفترق بين رأسي وجسدي، وعمر بن الخطاب الذي كان بكأؤه عند قراءة القرآن يُسمع في آخر المسجد؛ هو الذي فتح بيت المقدس وبلاد فارس والروم، وعمر بن عبد العزيز الذي وقع معنيًا عليه من سماع آية من القرآن؛ هو الخليفة الحارم الذي أصلح الله به ما أعوج من أمر هذه الأمة.

وعلى هذا المُوَالِ حَرَكَ القرآن الإخوان المسلمين إلى حَمَلِ راية الجهاد في كلِّ الميادين، بدءًا من ميدان جهادِ النفوس، حتى ميدان قتال أعداءِ الله وأعداءِ الأمة، ومروًا بميدان جهادِ الظالمين والمنافقين، والأمثلة أكثر من أن تُحصَر، وبكفي أن تُلقَى نظرةً عَجَلَى على شهداءِ الثورة المصرية المباركة في ميادين الشرف في رابعة والنهضة ورمسيس والحرس الجمهوري والاسكندرية وغيرها، لتُدرِكَنَّ أَنَّ أكثرهم كان من حَمَلَةِ القرآن وحُطَّاطِهِ، وتنصُّحُ سببُهم الدائبةُ بتحقيقِ أخلاقه وأدائه في سلوكهم وحياتهم.

(4) شخصيَّة الأَخِ القرآنيِّ كيف تتفاعلُ مع آياتِ القرآن

الشخصيَّة القرآنيَّة التي يريدُها الإخوان المسلمون شخصيَّة تترَبَّى على مائدة القرآن، فتجمعُ الخيرَ من جميع جوانبه، وتحْرِصُ على صلاح القلب وصلاح البدن، وتحْرِصُ على أن تأخُذَ من الدنيا حظَّها، وألا تَدَعُ في الآخرة نصيبَها، وتُرَدِّدُ صباحًا ومساءً؟ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحَبَّتِي وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؟ (الأنعام 162)، فليستْ صلاحها فقط لله، وليس نُسُكُها فقط لله، بل حياتها كلها لله ربِّ العالمين، بل مَمَاتُها لله ربِّ العالمين، وإذا نزلتْ بها السُّدَائِدُ لجأتْ إلى الله فيها ولم تلجأ فيها إلى مخلوق، وكان الله أسبقَ إلى قلبها، فتعرضُ أحوالها على القرآن، وتستميذُ مواقفها من معيبيه، وتضبطُ بوصولها على تعاليمه، لتقدم نموذجًا عمليًا للتفاعل مع القرآن، مقتديا بذلك الجيل الكريم من الصحابة والصالحين، وقد نقل ابن كثير عن بعض السلف أنه قال: «كُنْتُ إِذَا قَرَأْتُ مَثَلًا مِنَ الْقُرْآنِ فَلَمْ أَفْهَمْهُ بَكَيْتُ عَلَى تَفْسِي؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: وَمَا يَعْطِفُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ؟».

وأخرج الدارمي عن قتادة، قال: «مَا جَالَسَ الْقُرْآنَ أَحَدٌ قَمَامَ عَنَّهُ إِلَّا يَزِيدُ أَوْ يُنْقِصَانِ» ثُمَّ قَرَأَ؟ وَتَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِقَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا؟.

القرطبي معلقًا: «وَتَطِيرُ هَذِهِ آيَةُ قَوْلُهُ: قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آدَانِهِمْ وَقُرْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى؟».

هذه هي النماذج التي يريدُ الإخوان المسلمون من جديد أن يعنوها، وتلك هي الشخصيَّة التي يريدُ الإخوان المسلمون أن يُحَقِّقوها، والتي يصنعها القرآن الكريم، فُتَبِّصُ وجه الحياة، وتُنصَّرُ جيبَ الدنيا، بالعمل الجادِّ، والتضحية الصادقة، والثبات القوي، والدعوة الدائبة إلى الله على بصيرة، حتى يحقَّ لله الحقُّ بكلماته ويقطع دابر الكافرين، وسأقدم في الدروس التالية بعض تلك النماذج العالية من التفاعل مع القرآن لتكون منارا وتدريبًا لكل سالك على الطريق القويم.

فأقبلوا على القرآن أيُّها الإخوان، وتصلَّعوا من غلومه ومعارفه، وافبسوا من أنواره، وتأدَّبوا بأدائه، وحققوا في واقعكم معنى هُتافكم الدائم (القرآن دُسُورًا)، والله معكم، ولن يترككم أعمالكم.

www.ikhwanonline.com/236139